فيض الوفرة والرخاء

للمعلم برمهنسا يوغانندا

الإرادة الإلهية لا حدود لها ولا قيود عليها. إنها تعمل بواسطة قوانين معلومة ومجهولة، طبيعية وما يبدو خارقة للطبيعة. تستطيع تغيير مسار القدر وقيامة الموتى وإلقاء الجبال في البحار وخلق نُظم شمسية جديدة.

الإنسان المخلوق على صورة الله يمتلك في داخله قوة الإرادة تلك ذات الإنجاز الكلي.
واكتشاف طريقة التوافق مع تلك الإرادة – بالتأمل الصحيح – هو واجب الإنسان الأسمى.

الإرادة البشرية تخدعنا إن كانت مسيّرة بالأخطاء، ولكن عندما يتم توجيهها بالحكمة والرشاد تصبح متوافقة مع الإرادة الإلهية. إن خطة الله من أجلنا غالبا ما تصبح غامضة مبهمة بسبب تناقضات الحياة البشرية. وهكذا نفقد التوجيه الذاتي القادر على تخليصنا من مطبّات التعاسة والشقاء.

عندما يتمكن الشخص من مناغمة إرادته مع إرادة الله الموجّهة بالحكمة تصبح إرادته واحدة مع الإرادة الإلهية. فباستخدام الطرق الصحيحة للتأمل، التي تم استنباطها قديماً على يد حكماء الهند، يمكن لكل شخص إحراز توافق تام مع الإرادة الربانية.

وكما أن كل القوى الكونية تكمن في إرادة الله، هكذا كل الهبات الروحية والمادية تنساب من فيض نبعه الذي لا حصر له ولا انتهاء. ولكي نحصل على عطاياه يجب أن نستأصل من عقلنا (الظاهر والباطن) كل أفكار العجز والعوز. العقل الكلي كامل بذاته ولا يعرف النقصان. وللتوصل إلى ذلك المدد الرباني الذي لا نضوب له، يجب أن نشبّع الوعي بأفكار الوفرة والبحبوحة. ويجب أن لا نعترف بالفقر ولا نسمح للخوف بالتسلل إلى قلوبنا حتى وإن كنا لا نعرف من أين سيأتي ثمن وجبة الطعام التالية. عندما يقوم الإنسان بدوره ويتوكل على الله يجد أن قوى خفية تأتي لعونه ونجدته وأن أمنياته البنّاءة والطيبة تتحقق بسرعة. التأمل يساعد على غرس هذه الثقة بالنفس والشعور بالوفرة والرخاء.

وبما أن الله هو مصدر كل قوة نفسية، وينبوع السلام والرخاء، فيجب عدم أخذ القرار أو الإقدام على عمل ما قبل التواصل مع الله بالتأمل والدعاء. يجب أن نتأمل أولاً ونتأكد من توافقنا مع الإرادة الإلهية وعندها يمكننا حث إرادتنا وتفعيل قوانا من أجل بلوغ أسمى وأنبل الغايات والأهداف.

وكما يستحيل البث اللاسلكي من جهاز معطل، هكذا لا يمكننا إرسال صلواتٍ من جهاز نفسي معطل بالقلق والتشويش. يجب أن نقوم أولاً بإصلاح الجهاز بالتأمل العميق وأن نحسّن قوة استقبال البصيرة الروحية، وسنتمكن عندئذ من بث رسائلنا لله والحصول على استجاباته لنا.

بعد إصلاح الجهاز النفسي والتناغم الهادئ مع الاهتزازات الروحية الشفافة الشافية سنتمكن من استخدام ذلك الجهاز للتحدث إلى الله والتواصل معه. الطريقة الصحيحة للتأمل هي أنجع وأنجح الوسائل.

طريقة التأمل

يمكننا بقوة التركيز والتأمل توجيه قوانا العقلية التي لا تنضب في الاتجاه الذي نختاره لتحقيق ما نصبو إليه ولسد كل ثغرات الفشل. كل الناجحين من رجال ونساء يصرفون وقتاً كبيراً في التركيز الذهني العميق. إنهم قادرون على الغوص العميق في بحر عقلهم والعثور على لآلئ ودرر الحلول الصحيحة للمشاكل والمصاعب التي تواجههم. فإن تمكنت من تحرير الذهن من كل المشوشات والمشتتات وحصره في شيء واحد لا غير ستعرف كيف تجتذب بقوة الإرادة كل ما تحاج إليه.

قبل الشروع في مشاريع أو مهام هامة، ينبغي الجلوس بهدوء وتسكين الحواس والأفكار والتأمل بعمق. عندئذ سيشعر المتأمل أنه موجَّهٌ بقوة الروح العظيمة الخلاقة. بعدها يجب استخدام كل الوسائل المادية الضرورية اللازمة لتحقيق الغاية المنشودة.

الأشياء التي نحتاجها في الحياة هي التي ستساعدنا على بلوغ هدفنا الرئيسي. الأمور التي نريدها ولكن لا نحتاجها قد تبعدنا عن هدفنا. يمكننا إحراز النجاح بتكريس كل طاقاتنا وقدراتنا من أجل تحقيق غايتنا الأساسية.

السعادة معيار النجاح

يجب التأكد أولاً من أن الغاية التي ترغب في تحقيقها تستحق السعي في سبيلها وأن الوصول إليها يعتبر نجاحا فعلياً.

ولكن ما هو النجاح؟

إن امتلك المرء الصحة والثروة وكان لديه مشاكل مع كل إنسان (ومع نفسه أيضا) فحياته ليست موفقة. الدنيا تصبح قاتمة والحياة عقيمة إن لم نعثر على السعادة.

عندما يفقد الإنسان المالَ لا تعتبر خسارته كبيرة. وعندما يفقد الصحة يفقد شيئاً أكثر أهمية. أما عندما يفقد السلام وراحة البال فيفقد بفقدانهما أثمن وأعز كنوز الحياة.

لذلك يجب قياس النجاح بمعيار السعادة: بالقدرة على التوافق والانسجام مع القوانين الكونية. النجاح لا يقاس أصلا بالمعايير الدنيوية من صحة وجاه وقوة. هذه الأشياء بحد ذاتها لا تمنح السعادة ما لم تُستخدم استخداماً صحيحاً. ومن أجل ذلك يجب أن يمتلك الإنسان الحكمة ومحبة الله والبشر.

لقد منحنا الله المقدرة على مكافأة أو معاقبة أنفسنا باستخدام أو سوء استخدام عقولنا وإراداتنا. فإن تجاوزنا قوانين الصحة والرخاء والحكمة سنعاني حتما من المرض والفقر والجهل. لذلك يجب أن نقوّي عقولنا وأن نرفض حمل الأعباء النفسية والخلقية المتراكمة من سنين طويلة. فلنحرق تلك الأكداس المتختخة البالية في نيران مقرراتنا الحاضرة ونشاطاتنا البنـّاءة، وسنبلغ بكل تأكيد آفاق الحرية.

السعادة تتوقف – نوعاً ما – على الظروف الخارجية، لكنها تعتمد أصلاً على الحالة النفسية. ولكي يصبح الإنسان سعيداً يجب أن يمتلك صحة جيدة، عقلاً متزناً، حياة مزدهرة، عملاً مناسباً، قلباً شكوراً، وعلاوة على كل شيء الحكمة ومعرفة الله.

إن تصميماً قويا نابعاً من صميمك بأنك ستصبح سعيداً سيساعدك كثيراً. لا تتوقع أن تتبدل ظروفك، محتسباً من قبيل الخطأ أن المتاعب تكمن في تلك الظروف. لا تجعل التعاسة عادة قوية مستحكمة يصعب التخلص منها، مسبباً بذلك الألم النفساني لك ولمن حولك. إن من أكبر النعم على الإنسان وعلى من حوله أن يكون سعيداً ومتفائلا. إن امتلكنا السعادة نكون قد حصلنا على كل شيء. السعادة معناها التوافق مع الله، والتأمل يمنح القدرة على إحرازها.

عزز جهودك بقوة الله

اطلق – لأغراض نافعة بنـّاءة – القوى التي أودعها الله كيانك وستحصل على المزيد. سر على الطريق بتصميم راسخ لا يتزعزع ولا يعرف النكوص، مستخدما كل مقومات وعناصر النجاح.

اعمل على توفيق ذاتك مع قوة الروح الخلاقة وستكون على اتصال مع العقل اللانهائي القادر على إلهامك وحل كل مشكلاتك. وستنساب إليك – دون انقطاع – قوىً من المصدر الجبار لكيانك الروحي بحيث ستتمكن من القيام بإنجازات وإبداعات رائعة في كل مجالات الحياة.

يجب الجلوس بهدوء وسكينة قبل البت في أي موضوع هام، والتماس العون والبركة من الله. عندها سندرك أنه خلف قوتنا تكمن قوة الله، وخلف عقلنا عقل الله، وخلف إرادتنا إرادة الله. وما دام الله يعمل معنا فلن تحبط مساعينا بل ستتضاعف قوانا وتزداد قدراتنا. وعندما ننجز أعمالنا إكراماً لله وخدمة لعياله نحصل على بركاته.

إن كان عملنا في الحياة متواضعاً فلا ضرورة للإعتذار عنه. لنكن فخورين لأننا ننجز الواجبات الموكولة إلينا من الله. فهو يريدنا القيام بأدوارنا على أكمل وجه. لا يستطيع الكل القيام بنفس الدور الذي تقوم أنت به. فما دمت تعمل من أجل مرضاة الله فإن كل القوى الكونية ستعمل بتوافق وستتضافر لإسعادك وحمايتك وتحقيق أهدافك المشروعة.

عندما نؤكد لله بأننا نريده علاوة على كل شيء سنتوافق مع إرادته. وعندما نطلبه دون توقف مهما كانت العوائق التي تعترض سبيلنا لتصدنا عنه، نستخدم بذلك إرادتنا البشرية أفضل استخدام، ونستخدم أيضاً قانون النجاح الذي كان معروفا للحكماء القدامى والذي يعرفه أيضاً كل الذين أحرزوا النجاح الفعلي.

القوة الروحية لا تقهر وهي في خدمتك ما دمت تبذل مجهودا فعليا لاستخدام تلك القوة المباركة من أجل إحراز الصحة والسعادة والسلام. والله المستعان وبه التوفيق.

الترجمة: محمود مسعود